

السؤال

كنت أتلو القرآن ، فاستوقفني آية: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا)، فما الفرق بين كلمة فأجاءها وكلمة جاءها؟ وما دلالة استخدام فأجاءها في المعنى؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قال تعالى عن حمل مريم لعيسى عليهما السلام: فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا مريم/ 22-23.

أولاً:

في "الصحاح": "وأجأته إلى كذا؛ بمعنى: ألبأته، واضطرته إليه.

قال زهير بن أبي سلمى:

وجارٍ سار معتمداً إليكم * أجأته المخافة والرجاء" انتهى من "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" (1/42).

ويقول الشيخ محمد جبل: "ولعله وَضَحَ أن أصل المجيء: انحدار. ومن هنا يتضح مأتى استعمال "أجاءه إلى كذا" ، بمعنى: ألبأه واضطره، كأنه أحدره أو دفعه"، انتهى من "المعجم الاشتقاقي المؤصل" (1/264).

ثانياً:

قال الواحدي: "قوله تعالى: فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ أَي: ألبأها واضطرها، يقال: جاء بها، وأجاءها بمعنى.

هذا قول جميع أهل اللغة، وأنشدوا لزهير:

أجأته المخافة والرجاء

قالوا: والعرب تقول في أمثالها: شر ما أجأك إلى مخبة عرقوب، يريدون اضطررك وألبأك إليها.

قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي في تفسير (أجاءها): "أجأها"، انتهى من "التفسير البسيط" (14/219).

وذكر الطبري وغيره أن "أجاء" هو الفعل المتعدي من "جاء"، قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة، ثم قيل: لما أسقطت الباء منه أجاءها، كما يقال: أتيتك بزيد، فإذا حذف الباء قيل أتيتك زيدا، كما قال جل ثناؤه: أتوني زير الحديد والمعنى: أتوني بزير الحديد، ولكن الألف مدت لما حذف الباء، وكما قالوا: خرجت به وأخرجته، وذهبت به وأذهبته وإنما هو (أفعل) من المجيء، كما يقال: جاء هو، وأجأته أنا: أي جئت به، ومثل من أمثال العرب: "شر ما أجاني إلى مَحَّة عرقوب"، وأشاء ويقال: شر ما يجيئك ويشيئك إلى ذلك، ومنه قول زهير:

وجار سار معتمدا إليكم ... أجاءته المخافة والرجاء

يعني: جاء به، وأجاءه إلينا، وأشاءك: من لغة تميم، وأجاءك من لغة أهل العالية، وإنما تأول من تأول ذلك بمعنى: أجأها، لأن المخاض لما أجاءها إلى جذع النخلة، كان قد أجأها إليه"، انتهى من "تفسير الطبري" (15/492 - 493).

وقال الطاهر: "وأجاءها معناه أجأها، وأصله جاء، عُدي بالهمزة، فأقبل: أجاءه، أي جعله جائيا. ثم أطلق مجازا على إلقاء شيء شيئا إلى شيء، كأنه يجيء به إلى ذلك الشيء، ويضطره إلى المجيء إليه"، انتهى من "التحرير والتنوير" (16/85).

فالحاصل:

أن الفعل (جاء): فعل لازم، وأن (أجاء) متعد بالهمزة، وأصله (جاء)؛ ففيه معنى: جاء، وزيادة، والمعنى: أن مريم عليها السلام لقيت شدة من المخاض، فاضطرت إلى جذع النخلة لتحتضنها، فقد كانت - على الصحيح - في حملها كسائر النساء.

قال ابن كثير في "تفسيره" (3/129): "فالمشهور عن الجمهور أنها حملت به تسعة أشهر .. والفاء وإن كانت للتعقيب، لكن تعقيب كل شيء بحسبه".

وقال ابن عطية في "تفسيره" (9/445): "وظاهر قوله: (فأجاءها المخاض) يقتضي أنها كانت على عُرف النساء، وتظاهرت الروايات على ذلك".

وقال الشنقيطي في "أضواء البيان" (4/244): "وأظهر الأقوال أنه حمل كعادة حمل النساء، وإن كان منشؤه خارقا للعادة".

وانظر: "التفسير البسيط" (14/218).

والله أعلم